إشكاليات إتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم (دراسة نقدية تحليلية في الأسس والمنطلقات المنهجية)

The problems of scientific interpretation of the Holy Qur'an A critical analytical study in methodical foundations and a methodical starting point

م. م. حسين علي حسين
Hussein Ali Hussein

hussein112324@gmail.com

الملخص

لقد شاع على مستوى التوجهات التفسيرية الحديثة للقرآن الكريم، تبني ما اصبح يعرف بـ«الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم» والذي اصبح له منظروه واعلامه الذين يحاولون تقعيد اصوله وقواعده وأسسه، بجعله يشكل امتداداً للنزعة العقلية في التفسير كما ظهرت اصولها عند قسم من مفسرينا القدامى، فظهرت بناءً على مثل هذا التوجه التأسيس لمصنفات تفسيرية حديثة تحاول بمنهجيتها تطبيق اليات تلك القواعد والأسس، من اجل الخروج بتفسير «عصري» للقرآن الكريم، يعيد تأويل أو تفسير السور والآيات القرآنية، حسب طبيعة المكتسبات والاكتشافات العلمية المعاصرة مثل تفسير المنار لمحمد عبده وتفسير «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» للشيخ طنطاوي جوهري و «تفسير روح المعاني» لمحمود شكري الالوسي و تفسير» التحرير والتنوير» لابن عاشور... وغيرها .

ان هذا البحث يحاول وبمقاربة نقدية تحليليه التوقف - تحديداً- عند الاشكاليات والمآزق النظرية التي يثيرها تبني العمل بمثل هذا الاتجاه على مستوى التنظير أو التطبيق، وذلك لفحص أسسه ومنطلقاته، وبيان عدم صلاحيتها المنهجية لان ترتقي لتصل الى اقرارها كقواعد ومباني تفسيرية يمكن الاعتماد والعمل عليها لتصل الى مستوى اعطائها الصلاحية والمشروعية في التأسيس لاتجاه تفسيري له قواعده وأسس ومنطلقاته العلمية الواضحة والمحددة سواء من ناحية التأصيل أم التأسيس.

وعلى هذا الأساس فإن البحث سوف لا يهتم بالتعريف بأعلام هذا الاتجاه ومصنفاتهم التفسيرية، ولا بطبيعة مراحل الوعي التاريخي الذي رافق تطور ابعاد هذا الاتجاه، بقدر اهتمامه بنقد وتحليل الموجهات أو الأسس النظرية التي بنى عليها اصحاب هذا التوجه رؤيتهم في التفسير، وسيتحرك البحث على أساس هذه المعالجة من خلال محورين يكمل احدهما الأخر، الأول: هو التوقف عند إشكاليات التأسيس للمنطلقات والأسس النظرية عند اصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، والمحور الأخر هو معرفة طبيعة الوظائف والاهداف الايديولوجية، التي كانت وراء حماسة الدعوة لتفعيل وتأصيل أسس ومنطلقات هذا الاتجاه في مجال التفسير القرآني في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي، الاعجاز العلمي، اشكاليات التأسيس، الوظائف والاهداف الايديولوجية، الاسس النظرية.

***

ABSTRACT:

It has become common at the level of modern explanatory trends of the Holy Qur'an, to adopt what has become known as the "scientific trend in the interpretation of the Holy Qur'an", which has its theorists and media who are trying to limit its origins, rules and foundations, by making it an extension of the mental tendency in interpretation, as its origins appeared in some of our ancient interpreters based on such an orientation, it emerged to establish modern interpretative works that attempt, with its methodology, to apply the mechanisms of those rules and foundations, in order to come up with a "modern" interpretation of the Holy Qur'an, reinterpreting or interpreting the surahs and Qur'anic verses, according to the nature of contemporary scientific gains and discoveries such as the interpretation of (Al-Manar) by Mohammad Abdah (The Jewels in the Interpretation of the Noble Qur'an" Interpretation by Sheikh Tantawi Jawhari, "The Interpretation of the Spirit of Meanings" by Mahmoud Shukri Al-Alusi, and the Interpretation of "Liberation and Enlightenment" by Ibn Ashour ... and others...

This thesis attempts, with a critical and analytical approach, to stop - Specifically - when the theoretical problems and dilemmas raised by adopting work in such a direction at the level of theory or application, in order to examine its principles and starting points, and to indicate its methodological inadequacy to rise to its approval as rules and interpretative starting points that can be relied upon and work on to reach the level of giving authority and legitimacy in establishing an explanatory trend that has clear and specific scientific rules, foundations and starting points, whether in terms of rooting or foundation.

Basing on this, the research will not be interested in defining the Fiqh figures of this trend and their interpretive works, nor in the nature of the stages of historical awareness that accompanied the development of the dimensions of this trend, as much as it is interested in critiquing and analyzing the theoretical guidelines or foundations on which the owners of this trend built their vision in interpretation, and the research will move on the basis of this treatment through two pivot complement each other, the first is to stop at the problems of establishing the starting points and theoretical foundations of the owners of the scientific trend in the interpretation of the Holy Qur'an, and the other pivot is to know the nature of the functions and ideological goals, which

were behind the enthusiasm of the call to activate and root the foundations and starting points of this trend in the field of Quranic interpretation in the modern era.

Keywords: scientific , interpretation, scientific miracles, problems of foundation ideological functions and goals theoretical foundations.

***

تمهيد

سادت في العصر الحديث محاولات لتأصيل توجه يحاول ان يفتح مجالاً لتفسير القرآن الكريم على أسس ومعطيات العلم الحديث، وهذا التوجه حاول ان يصل بإسهاماته الى ان يطرح نفسه كـ« اتجاه» جديد في تفسير القرآن الكريم مثله مثل الاتجاهات التفسيرية الاخرى التي لها اصولها ومرجعياتها وقواعد ناظمة وواضحة تتأسس عليها مثل: الاتجاه العقلي، اتجاه تفسير القرآن بالقرآن، الاتجاه البنائي، الاتجاه العرفاني... الخ، ورغم حالة الشيوع والتداول لما سمي بالاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم، وكثرة الداعين الى تبنيه كتوجه جديد يخدم بمعطياته وآلياته النص القرآني، فيعيد تجديد واثراء مضامينه على أسس علمية وعصرية.. الا ان قله من الدراسات - وعلى ضوء مثل هذه الحماسة المفرطة للدعوة لمثل هذا الاتجاه- التي توقفت عند فحص أسسه ومنطلقاته برؤية نقدية تكشف مدى صلاحية مثل هذا الاتجاه على مستوى المنهج، ومشروعيته على مستوى الرؤية[١].

---

(١) ان دراسة الاتجاه العلمي لتفسير القرآن على أساس التوقف عند منطلقاته وأسسه يعني بالنتيجة دراسة للأسس المنهجية التي يقوم عليها، وبالتالي يصبح وكما يقول الجابري " كل منهج يصدر عن رؤية ولا بد : اما صراحة واما ضمناً، والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً ومثمراً .. الرؤية تؤطر

ان هذا البحث يحاول ان يخرج من دائرة القراءات والمقاربات النمطية لدراسة ابعاد ومضامين ما يعرف بالاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم، بمقاربة تتوخى المنزع النقدي في تحليلها للأسس والمنطلقات المنهجية التي يستند عليها هذا الاتجاه بغية اثبات او نفي حدود صلاحيته ومشروعيته، وفيما اذا كان من الممكن اعتباره يجسد اتجاهاً في تفسير القرآن الكريم له قواعده واصوله التي يمكن الاطمئنان لصحتها، والبناء عليها كأصول تفسيرية لها القدرة على اعطائنا فهم ومعرفة جديدة بالنص القرآني.

ان الاطروحة الاساسية في هذا البحث والتي يحاول ان يبرهن على صحتها هي ان ما عرف باتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم لا يتأسس من حيث آلياته وقواعده واهدافه على منطلقات وأسس علمية صحيحة واضحة المعالم مستنبطة من قواعد وأصول نابعة من طبيعة النص القرآني نفسه تعطيه الاصالة لأن يصبح احد الاتجاهات التفسيرية ذات الاصول والقواعد التي يمكن اعتمادها والعمل عليها في دائرة التفسير، بل أن هذا الاتجاه ومنذ بدايات العمل على آلياته عند جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، وسيد احمد خان حتى جيل عبدالرزاق نوفل، ومصطفى محمود واخرون كان يمثل انعكاساً للتوجهات الاصلاحية في خطاب التجديد الاسلامي الذي ساد في مراحل متعددة، واتخذ اشكالاً وتوجهات مختلفة حسب طبيعة كل مرحلة من جهة، وطبيعة قوة او ضعف الصراع الدائر بين التوجهات الاسلامية الاصلاحية، والتوجهات الليبرالية العلمانية .

وعلى هذا الاساس فإن طبيعة عمل ومنطقة الدراسة ستحددها وتوجهها اشكالية أساسية سيدور عليها البحث تتمثل بالإجابة على مجموعة من الاسئلة الرئيسية والفرعية من أهمها : ما هي السياقات الفكرية والاجتماعية التي استوجبت الدعوة لتبني اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم؟ هل هو استجابة لضرورات استدعتها حركة تطوير وتجديد المنظور التفسيري للقرآن الكريم؟ ام ان هذا الاتجاه جاء على خلفية ازمة في مشروع تجديد الخطاب والفكر الديني بشكل عام؟ ما هي أهم وجوه الاعتراضات المنهجية على آليات العمل بقواعد وأسس اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم؟ وهل مثل هذه الاعتراضات تطال الأسس والمنطلقات، أم الاهداف والغايات؟ كيف نفسر ظاهرة الممانعة والاعتراض والرفض للأصول التفسيرية التي دعا اليها اصحاب الاتجاه العلمي لتفسير القرآن والتي خرجت من دائرة المشتغلين بالحقل الديني من العلماء والباحثين ؟ هل التزم اصحاب ودعاة هذا الاتجاه بالضوابط والمعايير التي يجب ان يراعيها المفسر في تفسيره؟ أم ان تلك الضوابط غابت في مجال التطبيق على صعيد تفسير السور والآيات القرآنية؟ لماذا خفت حدة المطالبة والدعوة لتفعيل آلياته المنهج العلمي في تفسير القرآن

المنهج، تحدد له أفقه وابعاده، والمنهج يغني الرؤية ويصححها... محمد عابد الجابري، نحن والتراث" قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي" ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٨، ص٣١.

في مثل هذه المرحلة؟ هل هو بسبب وجاهة النقد الذي وجه لأسس ومنطلقات هذا الاتجاه؟ أم لأن هذا الاتجاه بالأساس كان تعبيراً عن ارهاصات مرحلة مر بها الخطاب العربي الإسلامي؟

ومن الجدير بالذكر وقبل الدخول في معطيات البحث، التأكيد على ان الوجهة الأساسية في مثل هذه المقاربة ستكون التوقف - تحديداً - عند تحليل ونقد الاسس والمنطلقات النظرية لأصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، هذا الامر يعني أننا سنتجاوز التوقف عند النزعة التاريخية في التعرف على أصول هذا الاتجاه سواء كان عند القدماء ام المحدثين، فمثل هذا النمط من المعالجة قد شاع في كثير من الدراسات التي اهتمت بالتعريف بمثل هذا الاتجاه[1]، وعلى هذا الاساس سيجري استدعاء قسم من اسهامات واراء اصحاب هذا الاتجاه، ليس بغرض وصف تلك الجهود وما آلت اليه من تطبيقات على مستوى التفسير، بل جعل تلك الاسهامات عبارة عن « نماذج» أو شواهد من خلالها يمكن استنباط آليات العمل النظرية، أي التعرف على طبيعة الاصول والمباني التفسيرية التي اجمعوا عليها اصحاب هذا الاتجاه، وتبنوها كمرجعية تفسير، بغض النظر عن وجوه تطبيقاتها العملية عند كل واحداً منهم، فنقض تلك الاصول - وهو ما نحاول اثباته- أو التشكيك في صلاحيتها العلمية سينقض بالتالي الطابع الاجرائي لها على مستوى الاستخدام والتطبيق العملي في اسهامات هذا الاتجاه.

وعلى هذا الاساس سيكون مدار البحث يتمحور حول محورين اساسيين يكمل كل منهم الاخر، الاول هو التعرف على طبيعة إشكالياته التأسيس للأسس النظرية عند اصحاب اتجاه التفسير العلمي للقرآن، وفحص مثل هذه الأسس بطريقة نقدية، ومن ثم بيان حدودها الاجرائية ومشروعيتها وصلاحيتها العلمية، والمحور الثاني هو التوقف عند معرفة الاهداف والدوافع الايديولوجية التي كانت وراء الدعوة لتبني الاتجاه العلمي في تفسير القرآن، والتعرف على مثل هذه الاهداف سوف ينزع الطابع المعرفي « العلمي» من هذا الاتجاه وسيكشف الطابع « الذرائعي» من حيث انه خطاب موجه للحد من تسرب النزعات

---

(١) من ابرز الدراسات التي سلكت في منهجيتها مثل هذا التوجه، واصبحت بالتالي من المراجع الاساسية في التعريف بالاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، والتي جمعت بين التأصيل لمثل هذا الاتجاه عند القدامى وامتداداته عند المحدثين، ينظر: -ومن باب التمثيل لا الحصر- فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ج٢، ١٩٩٧، ص٥٤٥-٦٧٨؛ عادل بن علي الشدي، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم "جذوره وتطبيقاته والموقف منه"، سلسلة بحوث منهجية في الدراسات القرآنية(٢)، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠، ص٢٤-١٠١؛ صلاح عبدالفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨، ص٥٦١-٦١٧؛ منيع عبدالحليم محمود، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة ، د.ط، ٢٠٠٠، ص٣٨٣٠-٣٨٤؛ علي اكبر بابائي، مدارس التفسير الاسلامي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ج٤، ٢٠١٦، ص٤٢٥-٤٧٢.

اللا أدرية أو العدمية أو الالحادية في المجال العربي والاسلامي، وهو بذلك يكون اقرب الى الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي الذي يوظف النص القرآني في مثل هذه المواجهة الفكرية، وبذلك يكون ابعد من ان يصبح اتجاه تفسيري له هوية واضحة المعالم من ناحية خصائصه وسماته، يمكن المراهنة على قواعده واصوله وأسس منطلقاته في انه سيحدث التطور والتحول المطلوب على صعيد تفسير القرآن الكريم برؤية معاصرة.

اولاً : إشكاليات التأسيس للمنطلقات النظرية عند اصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم.

ان قوة اي اتجاه او دعوة تجديدية تسعى لتأصيل أو لتأسيس معرفة أو مقاربة جديدة في اي حقل من حقول المعرفة الإسلامية المعاصرة - تفسير، علم كلام جديد، الفقه واصوله... - تأتي من خلال متانة وتماسك طبيعة الأسس النظرية التي تعطي لهذا الاتجاه أو ذاك " شرعيته" وصلاحيته على مستوى المنهج والرؤية، فكلما كانت تلك الأسس والمنطلقات نابعة من طبيعة المجال أو الحقل المعرفي الذي انبثقت من داخله كانت اقرب بأطروحاتها وفرضياتها ونتائجها الى اضفاء الطابع الموضوعي في مقاربتها لموضوعها، وكلما ابتعدت تلك الأسس واصبحت مضافة او مقحمة أو مستنبطة من خارج الحقل المعرفي المدروس كانت في مثل هذه الحالة اقرب الى الرؤى العامة أو الاحكام الذاتية التي لا ترتقي لان تصبح منطلقا واساساً يمكن البناء عليه والتعويل على نتائجه واحكامه.

ومن خلال هذا المنظور فإن التقييم النقدي لقيمة واثر واهمية الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم من ناحية مبادئه وقواعده وغايته لا تتضح ابعاده ومضامينه، الا بالتوقف عند فحص طبيعة الأسس والمنطلقات النظرية التي نظر او دعا اليها اصحاب هذا المنهج، فاعتبروا تلك الأسس والمنطلقات نابعة من طبيعة النص والخطاب القرآني من جهة، ومنسجمة بالتالي مع أصول التفسير القرآني الموروثة وقواعده العامة من جهة اخرى، ومن خلال هذين البعدين اصبحت " مشروعية" التأسيس للاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم - من منظورهم- قائمة على مجموعة من المنطلقات والأسس اعتبرت بنظر اصحابها " مسلمات" أو بديهيات يجب الانطلاق منها والبناء عليها، وأهم تلك المنطلقات والأسس ما يلي:

١- ذكر حقائق لم تكن معروفة زمن نزول القرآن ثم اكتشفها العلم الحديث واتفق فيها مع ما ذكره القرآن بشأنها.

٢- عدم ذكر نظريات خاطئة كانت سائدة زمن نزول القرآن.

٣- وجود كلمات في القرآن لا يمكن ادراك حقيقة المراد منها الا على ضوء تطور العلم في دائرة الاختصاص التي تنتمي اليها[1].

---

(١) هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات

ويمكن القول ان هنالك منطلقاً اخر لا يقل أهمية عن مثل هذه المنطلقات السابقة، بل هو - بتقديرنا- يكاد يكون حجر الزاوية في التأسيس المنهجي لقواعد وآليات التفسير عند اصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن وهو **جمعهم بين محددات علم التفسير وعلم اعجاز القرآن**، بجعل تبني العمل بتوجهات العلم الثاني هو الذي يعطيهم " المشروعية " لتقعيد قواعد وآليات التفسير عندهم، وبالنظر لأهمية مثل هذا المنطلق سيجري - في ثنايا البحث- التركيز عليه ونقد صلاحيته المنهجية وبيان قصوره وتناقضاته على مستوى الارتكاز عليه في التأسيس لتوجهات التفسير العلمي للقرآن الكريم.

وفي السياق نفسه فإن هنالك منطلقاً أخر يجري العمل على ضوئه عند اصحاب الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم بدون النظر الى انعكاساته السلبية في فهم حقيقة وابعاد منطق التفكير الديني نفسه، **حيث يحاولون التوفيق بين مرجعيتين متناقضتين هما مرجعية النص القرآني ذات الطبيعة الميتافيزيقية " الغيبية" ومرجعية العلم ذات الطبيعة الوضعية " البشرية"**[(١)].

وعلى أساس مثل هذه المنطلقات العامة عمل اصحاب اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم على محاولة ايجاد مجموعة من المسوغات او " المبررات" المنهجية التي تجيز لهم العمل بصلاحية مثل هذا الاتجاه في التفسير من جهة، والرد في الوقت نفسه على النقد الذي وجه لهم من دائرة المشتغلين بمثل هذا الحقل من جهة اخرى، وأهم تلك المسوغات ما يلي:

١- إن الذين حاولوا قصر الإعجاز في القرآن الكريم على بيانه ونظمه واسلوبه وفصاحته وبلاغته فقط بدعوى أنه الجانب الذي تحدى به العرب فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه نسوا أن التحدي بالقرآن لم يكن للعرب فقط، بل للجن والإنس، فرادى ومجتمعين عبر التاريخ، وليس جميع الإنس والجن يعرفون اللغة العربية فضلاً عن إجادتها وإتقانها .

٢- أنه لا حاجة بنا اليوم إلى "الإسرائيليات" في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله؛ لأن الرصيد العلمي في مختلف المعارف قد بلغ اليوم شأناً لم يبلغه من قبل، وإذا كان من استخدام "الإسرائيليات" في تفسيره من الأوائل قد أخطأ التفسير، فإن من يستخدم حقائق العلم الثابتة في

والتطبيق، مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط١، ١٩٨٥، ص٥٠.

(١) في سياق التأكيد على مبدأ الفصل بين المرجعيتين وعدم الجمع بينهما يشير عباس محمود العقاد الى انه " لا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر، ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم، كما تعرض عليهم في معامل التجربة والدراسة؛ لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان وجهوده، كما تتوقف على حاجاته، وأحوال زمانه" .. عباس محمود العقاد ، الفلسفة القرآنية ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٦، ص٩.

شرح تلك الآيات اليوم لا بد وأن يصل إلى فهم لها لم يكن من السهل الوصول إليه من قبل، وأن يجد في ذلك من السبق العلمي في القرآن الكريم .

٣- أنه لا تعارض البتة بين كون القرآن الكريم كتاب هداية ربانية، وإرشادات إلهية، ودستور عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وكتاب تشريع سماوي يشمل نظاماً كاملاً للحياة، وبين احتوائه على عدد من الإشارات العلمية الدقيقة التي وردت في مقام الاستدلال على عظمة الخالق- سبحانه وتعالى- وقدرته في إبداعه للخلق، وعلى إفناء ما قد خلق، وإعادة كل ذلك من جديد .

٤- أن القول بعدم جواز تفسير الثابت بالمتغير قول ساذج؛ لأن معناه الجمود على فهم واحد لكتاب الله، ينأى هذا الفهم بالناس عن واقعهم في كل عصر، وثبات القرآن الكريم- وهو من السمات البارزة له- لا يمنع من فهم الإشارات الكونية الواردة فيه على أساس من حقائق العلوم الكونية، حتى ولو كان ذلك يتسع من عصر إلى آخر بطريقة مطردة، فالعلوم المكتسبة كلها لها طبيعة تراكمية، ولا يتوافر للإنسان منها في عصر من العصور إلا أقدار تتفاوت بتفاوت الأزمنة، وتباين العصور، تقدماً واضمحلالاً .

٥- والقول بأنه ما يسمى بحقائق العلم ليس إلا نظريات وفروضاً، يبطل منها اليوم ما كان سائداً بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم فهو أيضاً قول ساذج؛ لأن هناك فروقاً واضحة بين كل من الفروض والنظريات من جهة، والحقائق والقواعد والقوانين من جهة أخرى، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض ثم النظريات، وينتهي بالقواعد والقوانين والحقائق .

٦- أما القول بأنه لا يجوز رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر كما لا يجوز الانتصاب لكتاب الله بمعطيات العلوم المكتسبة فهو كذلك كلام بعيد عن الحق، فقد حرص كثير من علماء المسلمين على ألا يتم تفسير الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة والقوانين والقواعد الثابتة .

٧- إن الاحتجاج بأن العلوم التجريبية- في ظل الحضارة المادية المعاصرة - تنطلق في معظمها من منطلقات مادية بحتة، تنكر أو تتجاهل الغيب، ولا تؤمن بالله، وأن للكثيرين من المشتغلين بالعلوم الكونية مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فمرد ذلك كله بعيد عن طبيعة العلوم الكونية، وإنما يرجع إلى المواقف الخاطئة التي أفرزتها الحضارة المادية المعاصرة .

٨- كذلك فإن القول بأن المعطيات الكلية للعلوم التجريبية - كما تصاغ في الحضارة المادية المعاصرة- قد تتباين مع الأصول الإسلامية الثابتة، هو قول على إطلاقه غير صحيح؛ لأنه إذا جاز ذلك في بعض الاستنتاجات الجزئية الخاطئة، أو في بعض الأوقات ... فإنه لا يجوز اليوم ، وقد بلغت المعارف بأشياء هذا الكون حداً لم تبلغه البشرية من قبل، وأصبحت الاستنتاجات الكلية لتلك المعارف تؤكد ضرورة الإيمان بالخالق البارئ المصور

الذي ليس كمثله شيء، وضرورة التسليم بالغيب وبالوحي وبالحشر وبالبعث وبالحساب"[١].

ان مثل هذه المنطلقات والتي تحاول في مضامينها ان تجد ومن خلال دائرة النص القرآني المبررات التي تعطي الشرعية للعمل بآليات التفسير العلمي للقرآن الكريم قد كانت الأساس النظري على مستوى التأصيل عند كثير من الاسهامات التي قدمت على هذا الصعيد، فنجدها حاضرة مثلاً على مستوى التفسير عند كل من : طنطاوي جوهري، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وعلى مستوى التنظير لأصول هذا الاتجاه والدعوة الى تبنيه عند كل من : عبدالرزاق نوفل، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد عبدالحليم ابو زيد، والبشير التركي... وغيرهم .

الا ان مثل هذه الأسس والمنطلقات النظرية لم تكن تحظى بالإجماع والقبول داخل دائرة المجال الديني نفسه، فبرز هنالك توجه رافض لان يكون النص القرآني بطبيعته، وخصوصيته، وطبيعة اعجازه، والغايات التي جاء من اجلها يعاد تفسيره على ضوء معطيات ومحددات خارجة عن منطقه وبنيته ومقاصده العليا، وان مثل هذا التوجه الرافض نتلمس ابعاده ومضامينه في اسهامات كل من: محمد باقر الصدر، وامين الخولي، وعائشة عبدالرحمن، ومحمد كامل حسين، ومحمود شلتوت ... وغيرهم، فالأسس والمنطلقات العامة التي اجمع عليها هؤلاء والتي تنفي امكانية قيام تفسير علمي للقرآن الكريم على أساس معطيات وقرائن تأخذ شرعيتها ومبرراتها من داخل النص القرآني تقوم على ما يلي:

١-ان القرآن موجه الى عموم الناس بينما يتوجه العلم الى أهل الاختصاص، لذلك لا يعتمد في الحقائق القرآنية الا على المشاهد والأمور القريبة من الادراك.

٢-يخاطب القرآن الكريم النفوس بينما يخاطب العلم العقول فكانت الاهداف في القرآن نفسه وجدانية معطياتها التأمل المتدين والاعتبار النفسي بينما لا تهدف العلوم الى شيء من ذلك .

٣- تتسم الحقائق في القرآن بالاستقرار بينما تخضع النظريات العلمية الى التفسير المستمر، لذلك يعرض التفسير العلمي القرآن الى البلبلة ويفضي الى النيل من قدسيته.

٤- لم يرد التفسير العلمي عن السلف، لذلك كانت الدعوة اليه دعوة الى الانصراف عن التفسير الذي بلغنا عن مدرسة النبوة، وفي هذا ما فيه من تحويل وجهة المعاني القرآنية ومفهوم الاعجاز في القرآن كما قررته مدرسة النبوة، وفيه ما فيه ايضاً من تجهيل للرسول ﷺ والصحابة ﵃ بما اصبح عليه التفسير على ضوء العلوم المستحدثة التي لم تكن قد ظهرت في عصر النزول ولا بعده، كما ان في هذا التفسير تصرفاً غير مشروع في اللفظ القرآني والبلاغة القرآنية، اذ تفسر فيه الالفاظ بمعانٍ لم تكن قد

(١) زغلول راغب محمد النجار، مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص٩٤-١٠٦.

اكتسبتها زمن النزول ويفترض المخاطبون ملمين بما لم يكن قد ظهر بعد من العلوم.

٥- التفسير العلمي تفسير طارئ وليد احداث مستجدة في العصر الحديث نتجت عنها في المجتمعات الإسلامية تحديات قومية وحضارية، تعود اساساً الى انبهار الشرق بما بلغه الغرب من تقدم علمي ورقي حضاري، لذلك سعى القائلون بالتفسير العلمي للرد على هذه التحديات، والفوز بالقرآن في اعجازه ومفهوم صلاحيته لكل زمان ومكان، سعوا الى التأكيد على اشتمال القرآن على اسباب تفوق الغرب، يعني العلوم الحديثة(١).

لكن مع طبيعة الانقسام الواضح في الأسس والمنطلقات بين المؤيدين لإتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم وبين الرافضين له، فإن هنالك من الباحثين من يحاول ردم الفجوة بينهما على أساس تفريقه بين مفهوم التفسير العلمي والاعجاز العلمي(٢)، ومن خلال هذا المنظور يصبح كلا الفريقين - وبحسب هذه الرؤية - يقران بمسألة الاعجاز العلمي للقرآن الكريم، لكن الاختلاف يصبح عند المعارضين يقتصر فقط على محددات التفسير العلمي وآلياته ولذلك يكون " الاختلاف بين المجيزين والممانعين للتفسير العلمي والاعجاز العلمي واقع في أمر التفسير العلمي للقرآن، وليس الاعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة، اما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها "(٣).

لكن مثل هذا الفصل الاجرائي يكاد يكون غير واضح المعالم على مستوى التطبيق المنهجي له في اسهامات من يتبنون الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم، فهم في تأويلهم للسور والآيات القرآنية لا يفرقون احياناً بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية، أي انهم وتحت هاجس اثبات مسألة اعجاز

(١) هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، مصدر سابق ، ص٣٨-٣٩.

(٢) ان التعريف الاصطلاحي المتداول في دائرة المشتغلين في هذا الاتجاه لمفهوم التفسير العلمي يعني" اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به اعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان.. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مصدر سابق، ١٩٩٧، ص٥٤٩.. لكن المفارقة – والتي تدل على الارباك الحاصل حتى في تحديد وجهة هذا الاتجاه على مستوى وصفه- ان هنالك اختلافاً حتى على اطلاق مثل هذه التسمية على من يتبنون هذا التوجه، ولذلك يقول احد الباحثين بهذا الصدد " ان إطلاق وصف " العلمي" على هذا اللون من التفسير سواه فيه مجافاة للحقيقة من جهة، وقصر من قيمة العلوم الأخرى من جهة ثانية، ويفهم منه أن ألوان التفسير الأخرى ليست علمية، كالتفسير الفقهي والعقدي واللغوي، ولذا فإن الأولى تقييده بالتجريبي أو الكوني، فيقال: التفسير العلمي التجريبي، أو التفسير العلمي الكوني.. عادل بن علي الشدي، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم" جذوره وتطبيقاته والموقف منه" ، مصدر سابق، ٢٠١٠، ص١٢.

(٣) حمزة حسن سليمان صالح، قضايا الاعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم" بين المجيزين والمانعين" ، مجلة الحركة، مجلد ٢١، العدد ١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م ، ص١٩٥.

القرآن يجعلون من معطيات النظرية العلمية - والتي هي عادة ما تكون في طور التغير والتبدل والتجاوز- هي مرجعيتهم في تفسير وجوه ذلك الاعجاز وليس الحقائق العلمية.

ان مثل هذا الخلط بين معطيات التفسير العلمي والاعجاز العلمي نجد مضامينه واضحة على مستوى التطبيق فيما يعتبر اول تفسير علمي حديث متكامل للقرآن للشيخ طنطاوي جوهري، والمعروف بـ "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" والذي تأثر به كثير من الباحثين في مثل هذا الحقل.. فلقد تعرضت منهجيته في التفسير لانتقادات عديدة، ذلك انه وكما قيل عنه " فيه كل شيء الا التفسير" حيث كان الكثير من " التجاوزات في هذا التفسير مما يخضع فيه جوهري لخياله الخصب خاصة فيما يتعلق بالأمور الغيبية كعالم الجن والشياطين واستحضار الأرواح والتنويم الصناعي والوقوع في أسر بعض النظريات العلمية القديمة والحديثة والتورط في النقل عن مصادر غير موثوق صحتها أو ليست لها قيمة علمية أو دينية ككتب الأدب والأساطير والفلسفات والمذاهب القديمة والأناجيل وقد أسهب طنطاوي في ذلك كثيراً كما أسهب في بيان كثير من العلوم المختلفة التي تشير أليها الآيات الكونية والعلمية حتى جاوز حدود معانيها، ولم يحاول الجمع بينها فخفى بذلك كثير من حقيقة ومقدار العلم المنزل فيها "[١].

بل ان من الباحثين من وصف تفسير الشيخ طنطاوي جوهري بأنه قد " انحرف عن جادة الصواب في تفسير القرآن الكريم، انحرافاً لا يقبله ذو الذوق السليم فضلاً عن الخبير بشروط التفسير، ولا شك ان تحميل هذه النصوص القرآنية ما لا تحتمل وإدخال العلوم والنظريات التي لم يستقر قرارها، والصور الشمسية للبشر والحيوانات بين ثنايا صفحات التفسير، وتلك الأوهام والخرافات التي يتخيلها في خياله الواسع حتى يتمثل أشخاص الخيال ذات أجساد واقفة أمامه وينسلخ حيناً من عالم الأجساد الى ما يسميه عالم الارواح، وإدخاله تلك المنامات التي يراها في منامه، أو تلك الأوهام التي يسميها إلهاماً كل هذا وذاك لا يقبل في تفسير القرآن الكريم "[٢].

كذلك فإنه وبحسب المنطق العلمي الحديث نفسه لم يعد هنالك ما يعرف بـ " الحقيقة العلمية"، فمجرد كشفنا لقوانين ظاهرة طبيعية او كونية لا يعني مثل هذا الأمر - وبحسب طبيعة التحولات المعاصرة في تفسير بنية النظرية العلمية[٣] ان مثل هذه القوانين قد اصبحت حقائق نهائية مطلقة

---

(١) محمد ابراهيم الشريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، كلية دار العلوم، القاهرة، ص ٧٠٩-٧١١.

(٢) فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مصدر سابق ، ص٦٧٧ .

(٣) ينظر : توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥، ص١١١-١٦٤.

لا يمكن لنا تجاوزها او دحضها، بل هي وبحسب هذا المنطق تبقى مجرد " اكتشافات علمية" تحتفظ بثباتها النسبي واستقرارها لفترة قد تطول أو تقصر بحسب طبيعة تطور الحركة العلمية في كل مرحلة، وهذا الأمر يؤيده تاريخ العلم نفسه، فمنطق هذا التاريخ ومحركه الأساسي يبقى يستند على مبدأ تجاوز اخطائه وليس تراكم خطي ومتواصل لإنجازاته، ولذلك أكد غاستون باشلار وهو أحد أهم فلاسفة العلم المعاصرين على مبدأ " القطيعة" وليس على مبدأ " الاستمرارية" في فهمنا لطبيعة التحولات والثورات المعرفية التي تحصل في اطار النظرية العلمية(١).

وفي السياق نفسه يمكن القول ان عزل مسألة الاعجاز العلمي للقرآن الكريم وابعاده عن محددات التفسير العلمي له هو تصنيف مصطنع، ذلك ان ربط مفهوم الاعجاز بمكتسبات العلم الحديث هو ربط متأخر ولم يجرِ تقعيد اصوله عند المتقدمين، فالنظريات التي تفسر ظاهرة الاعجاز القرآني عند القدماء معروفة ومتداولة واشهرها ثلاث أو اربع نظريات أو اطروحات، فالإعجاز اما يتحدد بلفظ القرآن، او معناه، او نظمه، او ما يعرف بمبدأ " الصرفة عند المعتزلة"(٢)، بالإضافة الى ذلك ان مرجعية " الحقيقة العلمية" يجب ان لا تبقى هي المرجعية الحاكمة على تفسير النص القرآني، فالعكس هو الصحيح، لأننا في مثل هذه الحالة سوف نقيس ثابتاً وهو النص القرآني على متغير وهو القانون العلمي.

ان مثل هذا الامر يطرح اشكالاً كبيراً على طبيعة الاعجاز القرآني نفسه من حيث ان مثل هذا الاعجاز يجب ان يبقى مفارقاً ومتعالياً على اية حقيقة وضعية يتوصل اليها الفهم البشري، سواء كانت تلك الحقيقة تخص العلوم الطبيعية أو الانسانية، فسر الاعجاز القرآني هو انه يمكن وصفه والاهتداء اليه بالدلالات والاشارات والقرائن اللغوية القرآنية، ولكنه في الوقت نفسه لا يمكن القبض على " حقيقته" لان ذلك ينزع عنه " صفة" الاعجاز، وعلى اساس مثل هذا الامر حصل اختلاف العلماء القدماء أم المحدثين في تحديد ماهيته، وهذا الاختلاف هو بحد ذاته بعداً من ابعاد الاعجاز، فكأنما النص القرآني في اصالته، وفي اعتباره صالحاً لكل زمان أو مكان يبقى متقدماً على كل العلوم والمعارف البشرية في كل العصور والازمنة، فيكون شاهداً بـ " الاشارة والدلالة" على تلك المعارف - وخاصة العلمية منها- وما تعكسه من مظاهر واشكال في

(١) من أهم اسهامات غاستون باشلار في مجال اعادة بناء العقل العلمي على أساس هذه الرؤية، ينظر: غاستون باشلار، العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٨٤، ص١٥-٣٥؛ غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي" مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية"، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص١٣-٢٥ .

(٢) ينظر: نصر حامد ابو زيد مفهوم النص" دراسة في علوم القرآن"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠١١، ص١٤٥-١٥٧.

كل مرحلة، لان مثل هذه الاشكال والانماط تكون عرضة للتجاوز بفعل تطور الوعي البشري، في حين ان " الحقائق " القرآنية ثابتة لأنها لا تخبر فقط عما هو كائن، بل تخبر عما سيكون، اي ان النص القرآني بإعجازه يبقى جدلاً بين عالم الغيب والانسان والطبيعة[١]، وهذا الامر هو ليس فقط سر اعجازه، بل هو كذلك سر الايمان والاعتقاد به.

ان مثل هذا الفصل الذي نحاول التأكيد عليه بين طبيعة الحقيقة العلمية والحقيقة القرآنية، وعدم ارتهان الثانية للأولى بجعلها معيار او حاكمة عليها.. كان من ابرز النقودات التي وجهت الى اصحاب اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم، فيقول بهذا الصدد احد ابرز المعارضين لمثل هذا التوجه، ووجاهة مثل هذا النقد تنبع من ان من صرح وجاهر به يعتبر له تأثير واضح على منهجية اتجاهات التفسير المعاصرة[٢]، كما ان اطروحاته في الفكر والعقيدة الاسلامية قد كانت المرجعية والاساس لكثير من التنظيمات والحركات الاسلامية المعاصرة، وعلى اساس هذه الاعتبارات فهو يذهب الى التأكيد على " إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل اليه البحث الإنساني- أياً كانت الأدوات المتاحة له- فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها، فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته- أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري! هذا بالقياس الى الحقائق العلمية.. والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علمية، ومن هذه النظريات

(١) للوقوف اكثر عند مضامين هذه الجدلية وكيف يعاد تفسيرها وتأويلها ضمن دائرة النص القرآني، ينظر: محمد ابو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مراجعة وتحقيق محمد العاني، دار الساقي ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص١٩٥-١٩٦؛ محمد ابو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والانسان والطبيعة" العالمية الاسلامية الثانية" ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٥-٥٥.

(٢) الاشارة هنا الى سيد قطب، وما احدثه من نقله في تفسيره " في ظلال القرآن"، وهذه النقلة والتجديد من منظور احد الباحثين تتمثل بما يلي :
- دخول سيد قطب عالم القرآن بدون مقررات مسبقة، وتركه الأمر لنصوص القرآن لتشكل له خلفيته الفكرية، ولتوحي له بإيحاءاتها ودلالاتها، فكانت أفكاره قرآنية .
- التسليم بمدلول النص القرآني، والثقة بمقرراته، والاستشهاد له، واخضاع الظواهر المخالفة له، واعتبار النص هو الأساس، وكل ما سواه تبع له.
- العلمية والجدية في البحث وإدراك منهج الإسلام في المعرفة.
- نجاحه في إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وتطبيقها على سور القرآن وآياته، وبيان التناسب الموضوعي في موضوعات السورة، والتناسق الفني في صياغتها.
- تجاوزه عصر الخلاف المذهبي والكلامي بين الفرق الإسلامية المختلفة، من معتزلة وخوارج وشيعة ومرجئة وأشاعرة وغير ذلك، وعودته إلى معين القرآن مباشرة، وتلقي حقائقه ومقرراته حول المسائل المختلف عليها بين تلك الفرق.. صلاح عبدالفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مصدر سابق، ص٦١٦.

والفروض كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها.. فهذه كلها ليست حقائق علمية حتى بالمقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض، كل قيمتها أنها تصلح لتفسير اكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية، إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدراً أكبر من الظواهر، أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق! ومن ثم فهي قابلة دائماً للتغير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لن تنقلب رأساً على عقب، بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة!"[١].

هذا الامر يعني ان "كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة- أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة.. - تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي، كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا تليق بجلال القرآن الكريم الأولى : هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة. والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق- بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله بل يصادقه ويعرف بعض أسراره، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة! والثالثة: هي التأويل المستمر- مع التمحل والتكلف- لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد[٢].

ومن خلال وجوه هذا النقد يتضح ان منهجية التفسير عند من تبنوا الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم هي منهجية تقوم في اصولها على قواعد وأسس وحجج وادلة غير متماسكة، واحياناً متناقضة، لأنها بالأساس استندت على اصول تفسيرية مضافة او مقحمة لا يؤيدها النص القرآني من جهة، ولا يقرها التراث التفسيري من جهة أخرى، ولذلك نجد عند من طبقوا أصول هذا الاتجاه العلمي في التفسير» جنوحاً الى الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم علي غير مقاصدها

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، المجلد الاول، ٢٠٠٣، ص١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٨٢.

التشريعية والايمانية؛ استنادا الي الحقيقة المسلمة: أن القرآن الكريم لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا جداول المواد وخصائصها، ولا قوائم بأسماء الكائنات وصفاتها؛ وانما هو في الأصل كتاب هداية في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، والمعاملات، والتي تشكل ركائز الدين الذي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيه أية ضوابط صحيحة، والقرآن العظيم حين يلفت نظر الانسان الي مختلف مظاهر هذا الوجود إنما يعرض لذلك من قبيل الاستدلال علي قدرة الخالق العظيم، وعلمه، وحكمته وتدبيره، وذلك من قبيل إقامة الحجة البينة علي الجاحدين من الكفار والمشركين ومن قبيل التأكيد علي إحاطة القدرة الإلهية بالكون وبكل ما فيه وعلى حاجة الخلق في كل لحظة من لحظات الوجود الي رحمة ذلك الخالق العظيم ورعايته «[١].

وبتعبير اخر يمكن القول انه « اذا كان أرباب هذا المسلك في التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بثها في الآفاق وفي أنفسهم، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك، وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفي أنفسهم، لا يراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة»[٢].

هذا الامر يعني ان القرآن الكريم يبقى في حقيقته واعجازه « ليس كتاب علم من العلوم المكتسبة، بل هو وحي السماء، وأن الإشارات العلمية التي وردت به جاءت في مقام الإرشاد والموعظة بحقيقة الألوهية، والربوبية، والوحدانية، والخلق، والبعث، والحساب، والجزاء ومخاطبة أهل العلم باللغة التي يفهمونها، لا في مقام البيان العلمي بمفهومه المحدد، وأن تلك الإشارات- على كثرتها- جاءت في أغلب الأحيان مجملة، وذلك بهدف توجيه الإنسان إلى التفكر والتدبر وإمعان النظر في خلق الله، لا بهدف الإخبار العلمي المباشر»[٣].

ومن خلال كل ما تقدم يتضح - ومن خلال طبيعة الإشكاليات التي تم التوقف عندها سابقاً - ان اصحاب الدعوة لاتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم من المحدثين، ورغم كل الجهود التي حاولوا من خلالها

(١) زغلول راغب محمد النجار، مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، مصدر السابق، ص٨٠.

(٢) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ج٢، د.ت، ص٣٦١.

(٣) زغلول راغب محمد النجار، مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، مصدر السابق، ص٩٢.

تأصيل ابعاد هذا الاتجاه بإيجاد الحجج والمبررات التي تبرر الاشتغال بآلياته مثل هذا الاتجاه على مستوى التفسير.. الا انهم اخفقوا على هذا الصعيد، فبقيت اطروحاتهم وتنظيراتهم تعبر في احسن احوالها عن « اجتهادات» ذاتية وكأنها بمضامينها» المعاصرة» تعيد لنا نزعة احياء مذهب التفسير بالرأي الذي كان معروفاً عند القدماء، لكن هذه المرة بمحددات ومنطلقات وأطر جديدة، لا ترتقي لأن تصل الى ان تصبح مذهباً او اتجاهاً تفسيراً يكتسب صفة» الاصالة» التي تعطيه «الشرعية» على مستوى المنهج والرؤية.

ثانياً : الوظائف والاهداف الايديولوجية للدعوة للاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم

اذا كانت الغاية في طرحنا للإشكاليات الخاصة بالتأسيس النظري على صعيد المنطلقات والأسس التي قام عليها اتجاه ما عرف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم - والتي توقفنا عند ابعادها سابقاً - هي من اجل نزع صفة الاصالة « العلمية» عنه وبيان المآزق والتناقضات المنهجية التي بنى عليها أصول تفسيره، وبالتالي التشكيك في مشروعيته كمنهج تفسيري.. فإننا في مثل هذا المحور واستكمالاً لمعالجة ابعاد الاطروحة الاساسية التي يقوم عليها هذا البحث، سنحاول مقاربة هذا الاتجاه وطبيعة القضايا والموضوعات التي استأثرت باهتماماته من منظور أخر يتمثل بالإجابة على سؤال اساسي يخص طبيعة تلك الغايات والاهداف الايديولوجية» المضمرة» وليست « المعلنة» التي حركت اصحاب ودعاة هذا التفسير، وهذا السؤال يتمثل بما يلي: **هل كانت الدعوة لتوجهات مثل هذا التفسير ومنذُ بداياتها عند جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسيد احمد خان وطنطاوي جوهري ومن تأثر بهم لاحقاً.. هل كانت تلك الدعوة لحاجات او دواعي حقيقية فرضها واقع تجديد مجال التفسير القرآني في العصر الحديث»؟ ام ان مثل هذه الدعوة كانت تعكس توجهات اصحابها وطبيعة السياقات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي فرضت عليهم الدعوة لتبني مثل هذا الاتجاه؟**

وقبل الاجابة على مثل هذا السؤال الذي يحدد طبيعة ما سنرمي التوصل اليه، يجب التأكيد على مسألة تخص طبيعة توظيف مصطلح « الايديولوجيا» في مثل هذا السياق، فكما اصبح معروفاً فإن لمثل هذا المصطلح في سياق التداول الحديث له عدة دلالات ومضامين[1]، فنحن في مثل هذا السياق لا نوظفه بحمولته ودلالاته « السلبية» من انه تعبير عن وعي زائف لواقعٍ ما تساهم في انتاجه والترويج له وادامته قوى مهيمنة على المجتمع، بل ان ما نقصده - تحديداً - في توظيفنا له هو طبيعة اشكال الفكر والتي تتمظهر وتعبر عن نفسها بأنماط مختلفة في مرحلة ما، والتي تصدر عن منظومة لها اصولها ومرجعياتها وهويتها الثابتة، التي تدافع عنها في قبال منظومة اخرى تحاول ان تدخل معها في

(١) للاطلاع على أهم الدلالات العامة التي يحيل اليها مفهوم الايديولوجيا، ينظر: عبدالله العروي، مفهوم الايدولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٢، ص٣١-١٢٧.

مواجهة سواء على المستوى العقائدي ام الفكري ام السياسي، وبتعبير اخر - له علاقة بموضوعنا- ما نقصده هو طبيعة الصراع المعلن او الخفي - والذي قد يشتد ويقوى في مرحلة ويضعف في اخرى - بين المنظومة الاسلامية أو الفكر الاسلامي بأشكاله وتجلياته المختلفة، وبين المنظومة او الفكر الليبرالي ذوي الاصول والمرجعيات الغربية الذي حمله ودعا الى تفعيل ابعاده ونظر له عدد كبير من الباحثين في المجال العربي والاسلامي في العصر الحديث.

ان استدعاء طبيعة الصراع الايديولوجي « الفكري» بين الخطاب الإسلامي والخطاب العلماني، ومعرفة طبيعة القضايا الاساسية التي كانت مثار جدل واستقطاب بين الخطابين وربط هذا الأمر بالدعوة الى تبني الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم كمظهر من مظاهر هذا الصراع الفكري.. هذا الأمر يعني اعادة قراءة ونقد ابعاد هذا الاتجاه من خلال مستويين: مستوى معرفي يخص اصوله ومنطلقاته وقواعده المنهجية- وهذا ما تم التطرق اليه سابقاً- ووجه أو مستوى اخر لا يقل عنه اهمية، وهو معرفة طبيعة الاهداف التي كان يرمي لتحقيقها هذا الاتجاه كـ « سلاح» للمواجهة في دائرة هذا الصراع، وان اغفال المستوى الثاني - وبمعنى ادق تجاهله - في اغلب الدراسات التي اهتمت بالتعريف العام بأبعاد الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، يعبر عن قصور منهجي في فهم طبيعة هذا الاتجاه والدواعي التي كانت وراء الحماسة والترويج له، وحجم الكتابات المعاصرة التي نظرت له، وحاولت بكل الوسائل المنهجية التقعيد لأصوله عند القدماء، لكي يكسبها مثل هذا الأمر - وكما قلنا سابقاً - شرعية يجنبها النقد الذي خرج من دائرة المشتغلين بالدراسات القرآنية خصوصاً في حقل التفسير.

ومن خلال ابعاد هذا المنظور يمكن القول ان اهم القضايا أو الاهداف الايديولوجية التي كانت تشغل بال المنظرين لاتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم وبمختلف خلفياتهم ومشاربهم الثقافية والفكرية هو محاولة اعادة الاعتبار للمعرفة واصول العقيدة الدينية في العصر الحديث على حساب التأثر بمكتسبات ومناهج العلوم والمعارف الغربية الحديثة، خصوصاً بعد تنامي سلطة هذه المعرفة في المجال العربي والاسلامي، ومحاولة تشكيلها لأبعاد الوعي المجتمعي على مستوى الاعتقاد والسلوك، صحيح ان مثل هذا الوعي بقي في دائرة نخب قليلة ولم يصل الى احداث « انقلاب» فعلي يقوض من مكانة الفكر الديني وتأثيره في المجتمع الإسلامي، ولا وصل بتأثيره ايضاً- كما حدث في الغرب- الى تهديد مكانة المؤسسة الدينية وطبقة رجال الدين والانقلاب عليهم ورفع وصايتهم عن الفضاء الاجتماعي.. لكن مع الاخذ بالاعتبار هذين البعدين، فإن اشكالية الصراع بين العلم والدين تبقى مطروحة على مستوى الوعي في المجتمعات العربية والإسلامية، خصوصاً وان مثل هذه الاشكالية قد حاول تعميق اثرها عدد كبير من الباحثين من ذوي التوجهات الماركسية أو العلمانية، حيث

شاعت في كتاباتهم - والتي كتب لها الرواج والتداول في المشهد الثقافي العربي في العصر الحديث- التشكيك بقدرة النص القرآني على ان يكون مواكباً للتحولات والمكتشفات العلمية المعاصرة، لان مقاربتهم للنص القرآني كانت بالأساس تعتمد على القراءة التاريخية له، بمعنى محاولة تحديد اثره وفاعليته في السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تتصل بزمن نزوله الأول، ولا تتعداه الى ازمنة وعصور اخرى.

وعلى أساس مثل هذه المحددات تصبح عملية تبني مكتسبات العلم الحديث ونظرياته، ومحاولة ايجاد معادل موضوعي لها في بنية النص القرآني من خلال عملية تأويل سوره وآياته بما ينسجم مع هذا التوجه - وهذا ما قام به فعلاً اصحاب الدعوة للاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم- يهدف الى تحقيق اكثر من هدف، فمن جهة - وتحت ضغط واثر رواج للأطروحات العلمانية ومحاولة عدم التأثر بها- سيحاول هذا التوجه قطع الطريق على التوجهات العلمانية والتي تعطي الاولوية في التفكير والاعتقاد لسطلة ومرجعية العقل العلمي و « مركزية» الانسان على حساب سلطة النص الديني ومرجعيته الغيبية، وذلك بتفعيل خطاب « مضاد» يتوسل بالنص القرآني عن طريق محاولة تفسيره عبر الاستناد على منجزات ومكتسبات المعرفة العلمية نفسها واثبات اما عدم تقاطع وانفصال الحقيقة العلمية عن الحقيقة القرآنية، واما اثبات السبق الزمني للنص القرآني وريادته في « استشراف» مستقبل تطور العلوم والمعارف الحديثة، وبذلك ينزع صفة « الاصالة» والريادة والتأسيس لمثل هذه المعارف واعتبارها علوم ليست « جديدة « ادخلت الانسان في مرحلة او عصر تحول جديد يمكن من خلاله الاستغناء عن ابعاد المعرفة الاعتقادية والدينية التي اقر مرتكزاتها وأسسها النص القرآني.

اما الهدف الثاني من محاولة تبني الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم والاشتغال عليه كأحد ابرز المناهج المعاصرة، فهو محاولة الحد من تأثير نزعات الشك والالحاد وعدم اليقين والايمان بإله خالق ومنظم لهذا الكون، والتي يمكن ان تكون قد تسربت اثارها الى المجتمع الإسلامي عن طريق التأثر بالنزعات العلمانية التي تدعو الى ان يكون « الدين الجديد» هو دين الايمان بالعقل ومكتسباته خصوصاً على صعيد المعرفة العلمية، فحسب مثل هذه الرؤية العلمانية فإن الدين يمثل مرحلة اولى مر بها الانسان يجب تجاوزها، لأنها كانت بالأساس تعبيراً او شكلاً من اشكال الوعي « الاسطوري» نتيجة عدم قدرة الانسان في مراحله الاولى على فهم وتفسير الظواهر الطبيعة والمادية المحيطة به، لكن ما ان دخل الانسان العصر الحديث واستطاع بعلمه فك « شفرة» قوانين الكون واكتشاف ما كان يجهله من تلك الظواهر الكونية والطبيعة، فإن النصوص الدينية - حسب تصورات هذا الاتجاه- لم تعد صالحة لان تكون منطلقاً للتفكير والاعتقاد.

ولذلك وعلى أساس التفات الباحثين الاسلامين لخطورة مثل هذه الاطروحات في محاولة زعزعتها

لمفهوم « اليقين الديني» القائم على الايمان بإله واحد احد، خالق ومنظم ومبدع لهذا الكون لحساب مفهوم « اليقين العلمي» القائم على تحييد فكرة الإله ودوره، ومحاولة ابطال قدرته على التدخل في تنظيم وهندسة قوانين الكون.. فإن اصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن - وهذا ما نلاحظه عند منظريهم بصورة عامة وفي تفاسيرهم بصورة خاصة- قد توقفوا عند كثير من القضايا والإشكاليات هي بالأساس كانت موضع جدل واخذ ورد بين الباحثين الاسلامين والعلمانيين من بينها : قضية بداية الخلق خصوصاً وان اغلب العلمانيين يحاولون نقض النظرية الالهية في الخلق بنظرية دارون في الانتخاب الطبيعي، كذلك قضايا اخرى من قبيل : دوران الارض، وتمدد الكون، وحركة الافلاك والكواكب... الخ، هذا الأمر يعني ان النص القرآني في مثل هذه الحالة اصبح ساحة لحل قضايا وإشكالياته وصراعات « ايديولوجية» هو بالأساس من ناحية مقاصده وبنيته ومرجعيته الغيبية بعيداً عنها، بل ليس من وظيفته أساساً اثباتها أو نفيها - كما بينا سابقاً - فـ « المشكلة التي يؤدي إليها هذا الموقف هي أننا، حتى لو افترضنا جدلا صحة كل ما يقال في هذا الصدد، لا بد أن ننتظر أولا حتى تكتشف النظرية العلمية بالجهد البشري، ثم نهتدي إليها بعد ذلك في النص الديني، فالذرة لم يتبين وجودها في القرآن إلا بعد أن كانت قد اكتشف قوانينها فعلا على أيدي رذرفورد وطومسون ونيلزبور وغيرهم، وقل مثل هذا عن كل كشف علمي يقال إن أصوله موجودة في الآيات القرآنية، ولا شك أن حجة أنصار التراث؛ في هذا الصدد كان من الممكن أن تصبح فعالة بحق، لو كانت هناك حالات أمكن فيها التوصل الى كشف علمي عن طريق دراسة الآيات التي ورد فيها هذا الكشف فحسب، ولكن لما كان من المستحيل الإتيان بحالة واحدة كان فيها النص الديني مصدرا لنظرية جديدة في العلم، فإن الهدف الذي يرمى إليه أنصار هذا الرأي يفقد كل مبرر له»[1].

اضافة إلى ان صراع المذاهب والتيارات الايديولوجية - ليبرالية، قومية، يسارية، علمانية، اسلامية- هو يبقى في النهاية صراع ارادة ورهانات انتجتها تحولات وسياقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية في مرحلة تاريخية معينة، وان رد الاسلاميين على القضايا والمنطلقات النظرية التي تحملها مثل هذه الاتجاهات يجب ان يرتكز على « خطاب» فكري يفكك منطلقات كل اتجاه، ويحدد صلاحيته على مستوى التجربة التاريخية، لا ان يستدعي النص القرآني بقدسيته وتعاليه - كما حصل تحديداً في الصراع بين العلمانيين والاسلاميين- ويزجه في اثبات «شرعية» وموقف الخطاب الاسلامي اتجاه مثل هذه التيارات والتوجهات.

انما نريد ان نصل اليه ان هذه الجهود و» عشرات الكتب التي يحاول أصحابها أن يثبتوا وجود العلم

(١) فؤاد زكريا، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل، دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٧، ص ٤٥.

كله - سواء ما اكتشف منه وما سيكتشف فيما بعد- في النصوص الدينية، إنما هي جهد ضائع يبذل في سبيل هدف محكوم عليه منذ البداية بالإخفاق، وفي هذه الحالة يكون رأي ذلك الفريق من أنصار التراث، الذي يرى أن النص الديني لا يستهدف سوى هداية البشر لا تعليمهم أساسيات الطبيعية أو البيولوجيا أو الكيمياء، أحكم بكثير من رأى أولئك الذين يتوهمون أنهم يعلمون من قدر النص الديني إذ يضعون فيه كل علوم البشر، ثم يتبين لهم أن حجتهم باطلة، لأن الكشوف العلمية لا تتم إلا بجهد بشرى، لن نهتدى إليها في النص الديني إلا بعد أن تكون قد اكتشفت بالفعل[1].

***

الخاتمة

من كل ما تقدم يتضح ان الصراع الفكري بين الباحثين العلمانيين والاسلاميين حول قضايا تخص أسس العقيدة والدعوة الاسلامية، قد القى بضلاله على مجال التفسير القرآني في العصر الحديث، فظهر الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم ليكون ويعبر عن حاجة فرضتها ضرورات ومتطلبات مثل هذا الصراع، خصوصاً وان التوسل بالنص القرآني واعادة قراءته ضمن هذا المنظور - بنظر اصحاب هذا التوجه- سيجعل من الخطاب الاسلامي اكثر قوة واقناع في دحض كثير من القضايا التي كانت مثار جدل واسع بين الطرفين خصوصاً قضايا : نظرية الخلق، وبدايات نشوء الحياة على هذا العالم، وطبيعة النظام الكوني، وقدم العالم وحدوثه... وغيرها، لكن توظيف النص القرآني في مثل هذه المواجهة الفكرية جاء بالنتيجة على حساب النص نفسه، فكانت اغلب التأويلات والتفسيرات للقضايا والمكتشفات العلمية الحديثة، ومحاولة ايجاد معادل موضوعي لها في النص القرآني.. تفسيرات مفتعلة ومتكلفة، وفيها الكثير من الاسقاط والتعميم، لان اصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم - وتحت ضغط الرد على الشبهات التي يثيرها العلمانيون على القرآن- **غلبوا الطابع الايديولوجي على حساب الطابع المعرفي**، فأصبحت القواعد الموجهة لتفسيرهم تفتقر الى الضوابط التي يجب ان

(١) فؤاد زكريا، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل، دار الفكر المعاصر، مصدر سابق، ص٤٥.

يراعيها كل مفسر ومنها: المعرفة العميقة بعلوم اللغة العربية واساليبها، ومعرفته بالتراث التفسيري السابق عليه، وكذلك سعة اطلاعه على مباحث علوم القرآن - قضايا المحكم والمتشابه، اسباب النزول، انواع القراءات..- والأهم من كل ذلك ادراكه لمنطق وبنية النص القرآني ومقاصده العليا، وتفرقته بين ما يحيل اليه النص القرآني من دلالات وقرائن ومضامين، وما يحيل اليه الخطاب القرآني.. يضاف الى كل ذلك عدم جعله لأي مرجعية خارجية - علمية كانت أو بشرية- هي المتحكمة والموجهة والدالة على معنى النص، لكن أغلب هذه المحددات قد كانت غائبة عند من تصدوا للدعوة للاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، وهذا الأمر هو الذي يفسر طبيعة المعارضة والنقد الذي يوجه الى أسس هذا الاتجاه ومنطلقاته النظرية، كونها تفتقد الى الصلاحية العلمية المطلوبة في بناء منهج أو اتجاه تفسيري جديد للقرآن الكريم.

***

Conclusion:

From all of the foregoing, it is clear that the intellectual conflict between secular and Islamist researchers over issues related to the foundations of the Islamic faith and da'wah has cast a shadow over the field of Quranic interpretation in the modern era. Praying for the Qur'anic text and re-reading it within this perspective - in the view of the owners of this trend - will make the Islamic discourse more powerful and convincing in refuting many issues that were the subject of widespread controversy between the two parties, especially issues: the theory of creation, the beginnings of the emergence of life on this world, and the nature of the cosmic order. The world was presented and its occurrence ... and others, but the use of the Qur'anic text in such an intellectual confrontation came with the result at the expense of the text itself. Projection and generalization, because those with a scientific tendency in the interpretation of the Noble Qur'an - and under pressure to respond to the suspicions raised by secularists about the Qur'an - prevailed over the ideological character at the expense of the cognitive character, so Purely the rules directed to their interpretation lack the controls that each interpreter must take

into account, including: deep knowledge of the sciences of the Arabic language and its methods, and knowledge of the exegetical heritage that preceded it, as well as his knowledge of the topics of the sciences of the Qur'an – issues of the arbitrator and similar, reasons for revelation, types of readings..- and most importantly All of this is his awareness of the logic and structure of the Qur'anic text and its supreme purposes, and its distinction between what the Qur'anic text refers to in terms of indications, presumptions and contents, and what the Qur'anic discourse refers to. The text, but most of these determinants were absent from those who responded to the call for the scientific trend in the interpretation of the Noble Qur'an, and this matter is what explains the nature of the opposition and criticism directed at the foundations of this trend and its theoretical premises, as it lacks the scientific validity required in building a new explanatory approach or direction. of the Holy Qur'an.

***

ثبت المصادر

١-توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥.

٢-حمزة حسن سليمان صالح، قضايا الاعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم" بين المجيزين والمانعين" ، مجلة الحركة، مجلد ٢١، العدد ١، ١٤٤٠هـ /٢٠١٩م.

٣-زغلول راغب محمد النجار، مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

٤-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، المجلد الاول، ٢٠٠٣.

٥-صلاح عبدالفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨.

٦-عادل بن علي الشدي، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم" جذوره وتطبيقاته والموقف منه" ، سلسلة بحوث منهجية في الدراسات القرآنية(٢)، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠.

٧-عباس محمود العقاد ، الفلسفة القرآنية ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٦.

٨-عبدالله العروي، مفهوم الايدولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢ .

٩-علي اكبر بابائي، مدارس التفسير الاسلامي،

مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ج٤، ٢٠١٦.

١٠-غاستون باشلار، العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٨٤.

١١-، تكوين العقل العلمي" مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية"، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

١٢-فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ج٢، ١٩٩٧.

١٣-فؤاد زكريا، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل، دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٧.

١٤-محمد ابراهيم الشريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، كلية دار العلوم، القاهرة.

١٥-محمد ابو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والانسان والطبيعة" العالمية الاسلامية الثانية" ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

١٦-، منهجية القرآن المعرفية، مراجعة وتحقيق محمد العاني، دار الساقي ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣.

١٧-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ج٢، د.ت.

١٨-محمد عابد الجابري، نحن والتراث" قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي" ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٨.

١٩-منيع عبدالحليم محمود، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة ، د.ط، ٢٠٠٠.

٢٠-نصر حامد ابو زيد مفهوم النص" دراسة في علوم القرآن"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠١١.

٢١-هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط١، ١٩٨٥.

***